

الظلم الإجتماعي ركيزة أساسية فى تزامن حرب الأهلية والأحزاب المتطرفة (بوكو حرام) فى المجتمع النيجيري.

Hamza Nuhu Sadiq

.Federal College Of Education Okene, Kogi State

Hamzatsadiqnuhu@gmail.com

الملخص

تمتاز هذه الورقة بنظرة فاحصة إلى المعانات الإقتصادية التى تعيش فيها كثير من سكان نيجيريا منذ أن أخذت إستقلالها حتى اليوم، والفقر مؤبد مزمن، يموتون عليها الشيوخ متمنيا أنها ستتحسن يوما، والشباب يربون عليها ولا يضمنون مستقبلهم، وأموال الدولة تسرق وتدخر فى دولة أخرى، لافائدة لمدخريها ولا للدولة الظالمة، ولكنها ثروات منحت للدول المتقدمة، حتى تعيش حياتها مسيطرة على الدول النامية، وبظل الفقير فقيرا، ويصبح الغني ذى الثروات طائلة. وقد نظرت الورقة إلى عنصر مهم وهو الظلم، وظلم الرعية تدفع المجتمع إلى الفقر وتمشى الفقير منطويا على نفسه، يظلم الدنيا فى وجهه، ولا نصيب له فى دنياه، ويرى كل شئ بنقصه، لا يرى للسرقه عيب، ولا نهب فحش كأن الناس متدربون عليها، وشجيه معترف من عاداتهم وتقاليدهم، ولذلك يرى مثل هؤلاء إذا دعوا إلى جمعية من جمعيات المتطرفة انضموا إليها ولبوا دعوتهم، وقد حاولت هذه الورقة إلى تقسيم الجمعيات المتطرفة إلى قسمين رئيسيين وهى : التطرف الدينى وتطرف الإجتماعى، ولكل منهما له أقسام من حيث التطرف الأخلاقى والتطرف الثقافى وتطرف العنصرى، وغيرها مما يجعل الناس ينحرفون عن البنية الأساسية للدولة، التى تساعد الأفراد والجماعات إلى التقدم الملموس المثمر. وبهذا تعرف الورقة إلى ماهية الظلم فى المجتمع الدولى، وتعريفها فى المجتمع النيجيري، وأنواع الظلم عند النيجيريين، وما هى الدوافع التى أدت الكثير إلى انشاء جماعات إجتماعية متطرفة، وأحزاب دينية مشاغبة، وكيف الخروج من الحرب الأهلية الدامسة، وما للولاة الأمور أن يقوم به، وحق الرعية عند الحكومة، ثم الإقتراحات والتوصيات و الخاتمة.

جماعة بوكو حرام : نشأتها وأصولها الفكرية والمواقف المتعددة منها

بوكو حرام :هى جماعة إسلامية مسلحة نيجيريا، وتعنى بوكو حرام بلغة الهوسا(منع تحريم - التعليم الغربى)، وقد تأسست الجماعة عام 2004، على يد محمد يوسف، وهو شاب نيجيري ترك التعليم فى سن مبكرة ، وحصل على قدر من التعليم الدينى غير النظامى، وتشكلت الجماعة أساسا من طلبة تخلوا عن الدراسة النظامية ، وقد أقامت الجماعة قاعدة لها فى قرية مع النيجر، وفى عام 2009م وقعت مواجهات بين الجماعة والشرطة والجيش شملت عدة ولايات شمالية راح ضحيتها مئات أو آلاف من الضحايا من المجدنيين،وانتهت بإعلان الحكومة النيجيرية أنها قتلت جميع أفراد جماعة بوكو حرام بما فيهم زعيم الجماعة محمد يوسف، غير أن هذا لم يشكل نهاية للجماعة، حيث ينسب إليها سلسلة من التفجيرات والهجمات التى شهدتها المناطق الشمالية الشرقية من نيجيريا فى الفترة من 2010 إلى 2011م(أهمها تفجيرات سوق أبوجا فى ديسمبر 2010م، وتفجيرات مركز للشرطة فى مايدوغورى فى يناير 2011م،وتفجير مكتب للجنة الإنتخابية الوطنية المستقلة فى مايدوغورى فى إبريل 2011م، وتفجير مقر الأمم المتحدة فى أبوجا فى أغسطس 2011).

أصولها الفكرية: وتتضمن الأصول الفكرية لجماعة بوكو حرام عددا من المفاهيم أهمها:

العمل على تأسيس دولة إسلامية بالقوة ، وتفكير جميع العاملين فى الأجهزة الأمنية والبرلمانيين ورؤساء الحكومة، والدعوة إلى التطبيق الفورى للشريعة الإسلامية فى جميع

ولايات نيجيريا، والتي يشكل المسلمون نحو 68 من سكانها، والبالغ عددهم حوالى 140 مليوناً، والتي تطبق الشريعة الإسلامية فى 12 ولاية من ولايات الشمالية، ورفض التعليم الغربى والثقافة الغربية والعلوم، والدعوة إلى تغيير نظام التعليم وتكفير ورفض التعامل مع من لم ينضم إلى الجماعة بما فى ذلك أعضاء الجماعات الإسلامية أخرى، على اعتبار أنهم يقبلون العيش فى مجتمع يرفضون الصلاة خلف من لا ينتمون إلى جماعتهم حركياً وتنظيمياً.

المواقف المتعددة منها

استطاعت الجماعة أن تكسب العديد من الأنصار خاصة فى أوساط الشباب، كما استطاعت أن تكسب التعاطف بعض المسلمين فى بعض الدول الإسلامية، نسبه لعمليات القتل خارج القانون، والتي ارتكبتها الشرطة النيجيرية فى حق أعضائها، والتي تناقلتها بعض وسائل الإعلام إلا أن الجماعة تعرضت لانتقادات من قبل العديد من الشخصيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية.

فقد اعترض العديد من الشيوخ المعروفين فى شمال نيجيريا على الكثير من الأفكار محمد يوسف الجماعة، كما أدانت العديد من المنظمات الإسلامية كمؤتمر المنظمات الإسلامية الذى ينطوى تحت مظلته الكثير من المنظمات الإسلامية فى نيجيريا، وجمعية نصر الإسلام ، أعمال العنف التى نسبت للجماعة كما نشر أسامة عبد العظيم فى موقع الجماعة الإسلامية بمصر مقال له بعنوان (بوكو حرام والفهم السقيم للإسلام).

تناول فيه الجماعة من منظور نقدي إسلامى جاء فيه (هذه هى قصة جماعة "بوكو حرام" فى نيجيريا، والتي تشغلت معظم عناوين الأخبار خلال الأيام الماضية، وهى فى الوقت ذاته تمثل

مأساة جديدة من مآسى الفهم السقيم للإسلام، ذلك الفهم الذى تشوهت بسببه معالم الدين الحنيف، وذهب بهاؤه ونضارته، زأزهقت من جرائه أرواح، وأهدرت جهود وطاقات، وأنفقت أموال، وفتحت سجون ومعتقلات.

وانقضت أعمار، وتعطلت مسيرات نهضة وتنمية ورخاء فى كثير من البلدان، ولعل الأزمة الفكرية التى تعاني منها كافة الجماعات التفكيرية، ومنها بوكو حرام ، هى قامت على مفارقة المجتمع واعتزاله، وذلك أنها لكونها لا ترى فيه خير قط، لقد بنيت جماعة "بوكو حرام" رؤيتها واستراتيجيتها على رفض نظام التعليم القائم فى نيجيريا، وقد يكون معها حق فى مأخذها على النظام التعليمى، وانتقاداتها الموجهة إليه، ولكنها بدلا من أن تؤسس لرؤية تعليمية حضارية توافق الشريعة الإسلامية ، وتلبى متطلبات الواقع الحديث، فإنها شنت حماتها لهدم النظام التعليمى من أساسه، ودعت أتباعها لمفارقتها وهجره، ولكن حتى نكون منصفين ، فإن أمثال تلك الحركات الإسلامية البعيدة عن فهم صحيح الإسلام لا تتحمل بمفردها مسؤولية المآسى المتعددة جراء فهم الإسلام بطريقة خاطئة ، فعندها يغلق المجتمع أبواب الإصلاح السلمى والمشاركة الفعالة والتعبير الإيجابى عن الذات فى وجه الشباب، وعندما ينشغل المثقفون والنخبة وأصحاب الراى والفكر عن هموم المجتمع ومشكلاته الحقيقية كالفقر والبطالة والامية وغيرها، ويبتغون للحديث فى قضايا هامشية وجدلية لا تمت للواقع بصلة، وعندها ينخر الفساد والرشوة والمحسوبية فى جسد المجتمع، ولا يجد المتفرقون والمتميزون فرصتهم ، بينما يجدها المتزلفون والمتملقون وأصحاب رؤوس الأموال فى أماكن لا يستحقونها، عندما تكتم أفواه أصحاب الفكر المتزن والفهم الوسطى للإسلام، فى حين تفتح على مصراعيها صفحات الجرائد ومنابر الأعلام للمتجهمين

على ثقافة الأمة وهويتها ، وعلى دين المجتمع وثوابته، فإن الإستقرار والسلام ستحدث فى المجتمع النيجيرى.

مطالبة الحكومة إلى تقييم مناهجها التعليمية

الموقف من الإسهامات العلمية للمجتمعات الغربية: أن منع وتحريم جماعة بوكو حرام للتعليم الغربى يعنى أن موقفها من الإسهامات العلمية للمجتمعات الغربية هو الرفض المطلق، وقد جاء هذا الموقف كرد فعل عل موقف آخر يقوم على القبول المطلق لهذه الإسهامات، وهو الموقف الذى تتبناه أغلب النظم التعليمية، فى البلدان الإسلامية بما فيها نيجيريا.

والموقف الصحيح من هذه الإسهامات العلمية، فيما أرى :هو الذى يميز بين مجالين من مجالات هذه الإسهامات:

المجال الأول: هو فلسفة العلم ، والمعيار هنا أصول الدين، فما معها وجوب قبوله، وما تناقض معها وجب رفضه.

والمجال الثانى : هو العلم التجريبي، والمعيار هنا هو التجربة والأخبار العلميين ، فما تحقق من صحته طبقا لهما وجب قبوله، وما تحقق من خطأه طبقا لهما وجب رفضه.

الفقر وعوائدها فى المجتمع النيجيري.

امتدت الداسات عامين، واستهلها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش، بعبارة قال فيها: "إن خلق مجتمعات تعددية شاملة مفتوحة منصفة، تقوم على أساس الإخترام الكامل لحقوق الإنسان، وتضمن العدالة الإقتصادية للجميع، يمثل بديلا ملموسا وهادفا لحماية الشخص من السير فى طريق التطرف العنيف".

وكشفت الدراسات أن أعداد الوفيات الناجمة عن التطرف فى أفريقيا بلغت 33 ألفا و 33 حالة بين عامى 2011 و

2016، إضافة إلى ما خلفه الإرهاب من تشرد ودمار اقتصادي، مؤكدة أن النشاط المتطرف العنيف في نيجيريا، بات يمثل تهديدا كبيرا للأمن العالمي، في ظل تداخل الأسباب التي تعزز وجوده ونشاطه في القارة السمراء، وتنوعها بين أسباب دينية وأيدولوجية وسياسية واقتصادية.

وشددت على أن الفقر والحياة على هامش المجتمع يدفعان بالشباب الأفريقي إلى الولوج في دروب التطرف والعنف والتمرد، وأن التهميش والحرمان من الحقوق الإجتماعية، وعدم فهم النصوص الدينية فهما صحيحا، وتدنى المستوى التعليمي، وسوء الأحوال الاقتصادية، وفقدان أحد الوالدين أو كليهما، كلها من أهم العوامل التي تلعب عليها التنظيمات الإرهابية لاستقطاب مجندين جدد.

الإنضمام لتنظيم جبهة المتطرف

اعتمدت الدراسات على إجراء لقاءات مباشرة مع 718 شخصا في كل من الصومال ونيجيريا وكينيا والسودان والنيجر والكاميرون، بينهم 81% من الذكور و 19% من النساء والفتيات، جرى تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات.

مجموعة متطوعين، وضمت 495 شخصا انضموا طواعية إلى الجماعات المتطرفة العنيفة،

والثانية: اشتملت على 78% فردا تم تجنيدهم عن طريق الإجبار والسيطرة والقوة، وشكلت النساء والفتيات نسبة بلغت 53% من تلك مجموعة مرجعية" وتشكلت من 145 فردا لا ينتمون إلى أي جماعات متطرفة عنيفة مثلوا 20.19 من عينة البحث.

انعدام الثقة بالدولة

وتبرر الدراسة صورة الفرد المهمش المهمل، طيلة حياته، منذ طفولته، والذي لا تتوفر له ظروف معيشية جيدة، أو مشاركة ذات مغزى فى الحياة العامة، إذ يعدم هذا الشخص الثقة بالدولة فى أن تقدم له الخدمات الحيوية الضرورية، أو أن تحترم حقوقه، وينجذب إلى التطرف عندما يشهد ما يعتبره إساءة لاستخدام السلطة من الدولة، أو يتعرض لذلك بشكل مباشر، ما يجعله يشعر بفقدان " شرعية الدولة " مشيرة إلى أن 40% ممن انضموا طواعية لتلك التنظيمات ذكروا أنهم لم يكونوا يرددون النشيد الوطنى لبلدانهم فى أثناء طفولتهم.

وفقا لنتائج الدراسة، فإن 83% ممن تم تجنيدهم يومنون بأن الحكومة لا تهتم إلا بمصالح فئة قليلة، وأكثر من 75% لا يثقون بالسياسيين ولا بالجهاز الأمنى للدولة، مشددة على أن تدنى المستوى التعليمى ، وضعف الدخل الشهرى، وتردى أوضاع الإجتماعية كانت أسبابا رئيسية فى انضمام المبحوثين إلى تنظيمات إرهابية، خاصة أن أكثر من نصف سكان العينة من دول تحت خط الفقر.